مقال رأي

مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Studies and Planning

من روما إلى أور
مسيرة البابا فرنسيس الإصلاحية وميراثه الروحي

سعد سلوم

سلسلة اصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Studies and Planning

من روما إلى أور
مسيرة البابا فرنسيس الإصلاحية وميراثه الروحي

سلسلة اصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط / قسم الابحاث / الدراسات السياسية / الدراسات الاجتماعية

الاصدار / مقال رأي / تحليلات

الموضوع / شؤون اقليمية ودولية

د. سعد سلوم / أستاذ العلاقات الدولية في كلية العلوم السياسية في الجامعة المستنصرية

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌّ، غيرُ ربحيٍّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلول عملية جليّة لقضايا معقدة تهمُّ الحقليْنِ السياسي والأكاديمي.

ملحوظة:

لا تعبّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنّما تعبّر عن رأي كتابِها.

حقوق النشر محفوظة © 2025

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org
Since 2014

مقدمة

كان فرنسيس الأول، الراحل عن 88 عاماً، مثالا نادرا عن الشجاعة الأخلاقية والروحية والفكرية، وكانت تصريحاته وتصرفاته، مثار سجال كبير لن ينتهي بانتهاء حقبته المتميزة والفريدة. أصبح بعد انتخابه البابا رقم 266 في تاريخ الفاتيكان، والبابا الأول القادم من أميركا اللاتينية، وأول بابا من العالم الثالث.

قدم الراحل إطارا أخلاقيا نادرا في عصر شديد العلمانية في الواقع، من خلال أفكاره وأقواله وأفعاله، فنراه قد تبنى القيادة الأخلاقية في العديد من القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية العالمية.

فارق البابا، الأكثر شعبية في تاريخ البابوية، الحياة يوم الاثنين المصادف 21 نيسان 2025 بعد معاناة من أمراض مختلفة خلال فترة بابويته التي استمرت 12 عاماً، وأتت وفاته غداة مشاركته في احتفالية عيد الفصح بكاتدرائية القديس بطرس.

وفي آخر ما صدر عنه من تصريحات، شدد في رسالة بمناسبة عيد الفصح، الأحد 20 نيسان 2025، على أهمية السلام، داعياً إلى إنهاء الصراعات المسلحة في العالم، لا سيما في غزة وأوكرانيا. وقال في رسالته التي نشرها المكتب الصحافي للكرسي الرسولي: «أود أن نجدد أملنا في أن يكون السلام ممكناً. من كنيسة القيامة، حيث يحتفل الكاثوليك والأرثوذكس بعيد الفصح هذا العام في اليوم نفسه، قد يشع نور السلام في جميع أنحاء الأرض المقدسة والعالم بأسره".

من هو البابا فرنسيس الأول؟ ما مسيرة حياته وتعليمه اللاهوتي؟ كيف اكتسب سمعة عالمية وأصبح صوت الفقراء والمدافع عن البيئة. كيف تأثر بلاهوت التحرير في أمريكا اللاتينية؟ وما سياسته وتوجهاته وفلسفته بالمقارنة مع بقية البابوات؟ ولماذا كان فرنسيس يصر على زيارة العراق على الرغم من التهديدات الأمنية والصواريخ والتشويهات المتعمدة لصورة هذه البلاد المنكوبة بالعنف والفساد؟ وما الميراث الروحي والفلسفي والسياسي التي خلفه صانع السلام الأبرز في القرن الحادي والعشرين، من بعد رحيله؟

سنحاول في هذه المساهمة المتواضعة الإجابة عن معظم هذه الاسئلة.

من روما الى أور

انطلق بابا الكنيسة الكاثوليكيّة، من مطار فيوميتشينو (Fiumicino) في روما، إيطاليا، في 5 آذار 2021، على متن الطّائرة ليذهب كما قال «حاجًّا تائبًا إلى أرض إبراهيم»، في بلاد الرّافدين، مهد الحضارات البشريّة. ولكن من يتابع رحلته إلى البابوية سيكتشف شخصية فريدة من نوعها، من بداياته ككيميائي شاب إلى دراساته في اللاهوت. مرورا بمعتقداته الأخلاقية الصارمة وهواياته بما في ذلك اهتماماته بكرة القدم ورقص التانغو. هذه خلفية متنوعة شكلت الرجل الذي أصبح البابا رقم 266 للكنيسة الكاثوليكية: أصبح أول بابا من الأمريكيتين، وأول بابا من نصف الكرة الجنوبي، وأول بابا غير أوروبي منذ أكثر من 1200 عام، وأول بابا يسوعي، وأول بابا يختار اسم فرانسيس.[1]

لم يكن البابا فرانسيس الشخص الذي توقع معظم الناس صعوده إلى البابوية عندما استقال البابا بندكت السادس عشر من منصبه في أواخر آذار 2013. ففي أثناء عمله كرئيس أساقفة بوينس آيرس، الأرجنتين، كان الكاردينال بيرغوليو (البابا فرنسيس) معروفًا بتفانيه في مساعدة الفقراء ونال إعجابه وأسلوب حياته المتواضع.[2]

يراقب الناس في جميع أنحاء العالم بفارغ الصبر لمعرفة التغييرات التي قد يحدثها في الكنيسة الكاثوليكية. وكيف يتكيف رجل دين اعتاد ركوب الحافلة للعودة إلى العمل في مسقط رأسه بوينس آيرس مع الحياة كقائد لأكثر من مليار شخص عبر العالم؟ وبالنسبة لشعوب الشرق الأوسط، وفي زيارته للعراق بشكل خاص، كانت فرصة لاكتشاف طرق البابا المختلفة للتأثير في منطقتنا وفي سائر أنحاء العالم.

مسيرة حياة فرنسيس وتعليمه اللاهوتي

عاش (خورخي ماريو بيرغوليو: هذا كان أسمه) معظم حياته المهنية في الأرجنتين، وواجه وقتًا عصيبًا في تاريخ بلاده شبيها بتاريخ العراق العصيب والعديد من دول المنطقة. فقد ولد

1- Stephanie Watson, Pope Francis: First Pope from the Americas (Lerner Publications, 2013)

2- سوف نعتمد في عرض سيرة البابا فرنسيس على المصادر التالية:

-Grace Hanse, Pope Francis. Religious Leader, (ABDO Publishing Company, 2014)

- Kris Woll, Pope Francis. Catholic Spiritual Leader, (ABDO Publishing Company;2014)

- Massimo Borghesi; Barry Hudock, The Mind of Pope Francis: Jorge Mario Bergoglio's Intellectual Journey (Liturgical Press Academic, 2018)

في بوينس آيرس في عائلة مكونة من خمسة أطفال، وهو أكبر أشقائه الأربعة، كان والده مهاجرًا من إيطاليا، وأما والدته فهي ولدت في الأرجنتين غير أنها من أصول إيطالية جنوبية أيضًا. وكان السبب الرئيس للهجرة من إيطاليا إلى الأرجنتين هو الهروب من النظام الفاشي، وفي الأرجنتين ايضا كانت هناك فاشية من نمط أخر، ففي أواخر السبعينيات، استولى الجيش على الحكومة وحكموا الشعب بالحديد والنار حتى عام 1983، وقد سُميت تلك المدّة بالحرب القذرة، وفيها تم خطف وقتل الآلاف من الأرجنتينيين، وشمل ذلك بعض القساوسة المتهمين بالعمل ضد الحكومة.

تلقى البابا تعليمه الابتدائي في مدرسة للآباء الساليزيان في إحدى ضواحي بيونس آيرس، أما مدرسته الإعدادية فكانت متخصصة في التقنيات الكيميائية، وتابع دراسته الجامعية محصلاً درجة الماجستير في الكيمياء في جامعة بوينس آيرس، وعمل لثلاث سنوات ضمن مجال اختصاصه في أحد مختبرات العاصمة الأرجنتينية.

في عمر 21 عامًا، انضمّ إلى الرهبنة اليسوعية في 11 مارس 1958، ودرس العلوم الإنسانية واللاهوتية في سانتياغو في تشيلي، بعد إنهاء دراساته الأولى هناك عاد إلى الأرجنتين ليتابع دراساته في الفلسفة واللاهوت في المعهد الإكليركي في ديفيتو فيلا ثم في جامعة سان ماكسيمو دي مغيل والتي حصل منها على البكالوريوس، وتابع دراساته في الأدب وعلم النفس بين عامي 1964 - 1965 في جامعة ديلا أنماكيولادا في سانتا في، وتخرج منها. وفي عام 1967 أنهى بيرغوليو دراسته اللاهوتية، وسيم كاهنًا في 13 ديسمبر 1969، من قبل رئيس الأساقفة خوسيه كاستيانو.

أصبح البابا أستاذًا في اللاهوت، ودرّس في كلية الفلسفة واللاهوت في جامعة سان ميغل في مدينة بيونس آيرس، بداية كمحاضر مبتدئ ومن ثمّ كأستاذ في اللاهوت؛ وكان قد أقام المحطة الأخيرة للتدريب الروحي للرهبان الجدد حسب قواعد الرهبنة اليسوعية في إسبانيا، ومكث فيها حتى اختياره رئيسًا إقليميًا للرهبنة اليسوعية في الأرجنتين بين عامي 1973-1979. وبعد نهاية ولايته عاد إلى التدريس في جامعة سان ميغل وغدا عميد المعهد اللاهوتي في سان ميغيل، وعمل في هذا المنصب حتى عام 1986، حين انتقل إلى فرانكفورت في ألمانيا للإشراف على أطروحة الدكتوراه فيها بطلب من الرهبنة اليسوعية، وحين عودته عيّن المدير والمعرّف الروحي في جامعة مدينة قرطبة الأرجنتينية.

وفي عام 1992 اختاره البابا يوحنا بولس الثاني ليكون أسقفًا مساعدًا لرئيس أساقفة بيونس آيرس الكاردينال أنطونيو كاراكينو. ثم أصبح رئيس أساقفة المدينة بعد شغور منصب رئيس الأساقفة، واحتفل بتنصيبه الرسمي في 6 نوفمبر 1998، بعد تعيينه رئيساً للأساقفة بثلاث سنوات، وفي عام 2001، اختاره يوحنا بولس الثاني كاردينالاً، وعينه في خمس وظائف إدارية في الكوريا الرومانية، وهي عضوية مجمع العبادة الإلهية وتنظيم الأسرار، وعضوية مجمع الإكليروس، وعضوية مجمع مؤسسات الحياة المكرسة وجمعيات الحياة الرسولية، وعضوية المجلس الحبري للعائلة، وعضوية مجلس أساقفة أمريكا الجنوبية.

من بندكت الى فرنسيس: البابا الإصلاحي

بعد وفاة البابا يوحنا بولس الثاني (الإطار رقم 1)، عُدّ بيرغوليو واحدًا من الكرادلة ذوي الحظوظ الكبرى لخلافته في المجمع المغلق 2005، وقد نشرت تقارير صحفية تفيد بأنّ بيرغوليو حصل على ثاني أكبر عدد من الأصوات بعد جوزيف راتزنجر. ونتيجة لذلك طلب الكاردينال بيرغوليو، ممن انتخبه عدم التصويت له، ما ساهم في فوز جوزيف راتزنجر باسم البابا بندكت السادس عشر، وكان بيرغوليو من المشاركين في جنازة البابا يوحنا بولس الثاني، وأحد أعضاء مجمع الكرادلة البارزين في إدارة مرحلة شغور الكرسي الرسولي، وبعد انتخاب البابا بندكت السادس عشر، انتخب بيرغوليو عضوًا في مجلس الأساقفة في أعقاب سينودس الأساقفة لعام 2005، وفي 8 نوفمبر 2005 انتخب رئيسًا للمؤتمر الأسقفي الأرجنتيني في ولاية تستمر ثلاث سنوات بين 2005 - 2008 ثم أعيد انتخابه بالأغلبية الساحقة من أساقفة الأرجنتين، وبُعَيد إعادة انتخابه انتخب أيضًا رئيسًا للجامعات الحبرية الكاثوليكية في الأرجنتين.

الاطار رقم 1: البابا يوحنا بولس الثاني (0291-5002)

هو بابا الكنيسة الكاثوليكية الرابع والستون بعد المائتين منذ 16 تشرين الاول-أكتوبر 1978 وحتى وفاته في 2 نيسان-أبريل 2005 في حبرية طويلة دامت ستًا وعشرين عامًا. وهو ايضا أول بابا غير إيطالي خلال مدة 450 عامًا. قطع مئات الآلاف من الأميال لمقابلة المؤمنين، وبناء الجسور مع الأديان الأخرى. وتم وصفه كشخصية تشرشلية تحدت قوى الإلحاد والنسبية الأخلاقية. نجا من محاولتي اغتيال، وحارب السرطان وخاض معركة عامة للغاية مع مرض باركنسون.

كان واحدًا من أكثر قادة العالم سفرًا خلال التاريخ، إذ زار خلال توليه منصبه 129 بلدًا. ويعد واحدًا من أقوى عشرين شخصية في القرن العشرين، وقد لعب دورًا بارزًا في إسقاط النظام الشيوعي في بلده بولندا وكذلك في عدد من دول أوروبا الشرقية، وندد «بالرأسمالية المتوحشة» في تعليمه الاجتماعي؛ ونسج علاقات حوار بين الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الأرثوذكسية الشرقية والكنيسة الآنجليكانية إلى جانب الديانة اليهودية والإسلامية. حاول إرساء ثقافة الحوار مع مختلف الأديان، والتقى جماعات دينية ورجال دين من أديان مختلفة، وكانت المحاولة خلال هذه الاجتماعات للبحث عن أرضية مشتركة، كما عمل على تطوير النقاشات بين الطوائف المسيحية وأنهي خلال عهده الخلاف الذي انبثق في أعقاب مجمع خلقيدونية مع الكنائس الأرثوذكسية المشرقية.

في عام 1981 أصدر يوحنا بولس الثاني «التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية» وناقش فيه قضية خلاص غير المسيحيين، واعتبر البابا في الوثيقة التي تعتبر «دستور رسولي» أن «خطة الله للخلاص تشمل المسلمين أيضًا الذين يعبدون معنا الله الواحد»، وكان المجمع الفاتيكاني الثاني قد أصدر خلال حبرية البابا بولس السادس وثيقة شبيهة عن المسلمين. كما قام في اليوم العالمي للصلاة من أجل السلام الذي عقد في أسيزي يوم 27 تشرين الاول-أكتوبر 1986 بجمع ممثلين لمختلف الديانات والطوائف فاق عددهم 120 ممثلاً وذلك بهدف الصلاة والصوم في سبيل السلام. وفي 6 ايار-مايو 2001 أصبح يوحنا بولس الثاني أول بابا كاثوليكي يقوم بالدخول والصلاة في مسجد، فخلال زيارته سوريا قام البابا بزيارة المسجد الأموي، وأصر على اتباع العادات الإسلامية فخلع حذائه لدى دخوله المسجد، وقام بتقبيل القرآن الأمر الذي جعل له شعبية واسعة بين المسلمين، وقام بالصلاة أمام ضريح يوحنا المعمدان المعروف باسم النبي يحيى في

الإسلام، وألقى خطابًا قال فيه: «إن المسلمين والمسيحيين أساؤوا إلى بعضهم البعض، ونحن اليوم نطلب الاستغفار عن ذلك من الله العلي والقدير، ونقدم الاعتذار عن كل خطأ آخر». في عام 2004 أقام البابا «الحفلة البابوية للمصالحة» والتي جمعت قادة مسلمين مع زعماء يهود وقادة كاثوليك في الفاتيكان.

ينسب إلى البابا يوحنا بولس الثاني دور بارز في إسقاط الشيوعية في أوروبا الوسطى والشرقية، مع كونه مصدر إلهام وراء سقوطها، وحافزًا على ذلك، خصوصًا في بلده بولندا حينما دعم «ثورة سلمية» لإسقاط الشيوعية.

كشفت المراسلات بين البابا والرئيس الإمريكي رونالد ريغن أن الفاتيكان يدعم سياسة الولايات المتحدة في مقارعة الاتحاد السوفياتي. في ديسمبر 1989 التقى البابا يوحنا بولس الثاني مع الزعيم السوفياتي ميخائيل غورباتشوف وقال غورباتشوف في ختام اللقاء: «إن انهيار الستار الحديدي كان مستحيلاً لولا يوحنا بولس الثاني». وفي 2004 منحه الرئيس الإمريكي جورج بوش الابن وسام الحرية على البابا وهو أعلى وسام يمنح لمدنيين في الولايات المتحدة، وقال بوش: «لقد وقف هذا الرجل موقفًا مبدئيًا من أجل السلام والحرية، وألهم الملايين وساعد على إسقاط الشيوعية والطغيان»، كما رشح البابا في فبراير 2004 لنيل جائزة نوبل للسلام تكريمًا له عن دوره «في معارضة القمع الشيوعي والمساعدة على إعادة تشكيل العالم».

و قرر بشجاعة منقطعة النظير إعلان سلسلة اعتذارات عن «الأخطاء» التي اقترفتها الكنيسة الكاثوليكية خلال تاريخها، وقد شمل الاعتذار: اليهود (عن تقاعس الكنيسة الكاثوليكية في ألمانيا عن مساعدتهم خلال الهولوكوست) واعتذارا عن إدانة الكنيسة الكاثوليكية للعالم والفيلسوف الإيطالي جاليليو جاليلي عام 1633، ومن المسلمين (عن المآسي التي رافقت الحروب الصليبية) ومن النساء (عن انتهاك حقوق المرأة خلال القرون الوسطى على يد محاكم التفتيش) وعن التورط في تجارة الرقيق، إلى جانب ذلك فقد رعى البابا سلسلة مصالحات، مثل خطاب المصالحة بين الأساقفة البولنديين والأساقفة الألمان الذي يعود لما قبل بابويته عام 1965

-Edward Renehan, Pope John Paul II (Modern World Leaders), (Chelsea House Publications, 2006)

-Hugh Costello, Pope John Paul II, (The History Press, 2014)

فعل البابا بندكت السادس عشر شيئا غير تقليدي للغاية، سوف يتم ذكره بهذا الفعل الاستثنائي، فغالبًا ما يتم ذكر الشخصيات السياسية والتاريخية لشيء واحد ليس له علاقة كبيرة بسياساتهم وإنجازاتهم الفعلية، وهكذا يُذكر (كيم كامبل) أول رئيس وزراء لكندا أو (إديث كريسون) أول رئيسة وزراء لفرنسا، ويبقى (باراك أوباما) في الذاكرة أول رئيس أمريكي من أصل أفريقي. كان جوزيف راتزينغر، وبالرغم من كل عمله، سيبقى يُذكر أكثر من أي شيء آخر باعتباره أول بابا يستقيل طواعية منذ عدة قرون. أو البابا الأول الذي يترك المنصب طواعية منذ العصور الوسطى، لكنه أظهر ايضا من خلال ذلك ارادة قوية لفعل جريء لزعامة الكرسي الرسولي، مما يسهّل على خلفائه اتخاذ قرارات جريئة أخرى بشأن مجموعة متنوعة من القضايا بطريقة ما، فقد مهد البابا بندكت السادس عشر (الإطار رقم 2)، الذي يُنظر إليه على أنه محافظ وتقليدي، الطريق للإصلاحات التي سيبدأ البابا فرانسيس في إجرائها منذ بداية حبريته.

الإطار رقم 2: البابا بندكت السادس عشر (1927 -2022)

هو البابا الخامس والستون بعد المئتين في الكنيسة الكاثوليكية، (16 نيسان-أبريل 1927 - 31 كانون الاول-ديسمبر 2022) تولى منصبه خلفا للبابا يوحنا بولس الثاني. انتخب لمنصب البابا بعد خلوة انتخابية قصيرة في 19 نيسان -أبريل 2005، يحمل الجنسية الألمانية وجنسية دولة الفاتيكان وحقوق المواطنة في ولاية بافاريا.

خلال عمله كرئيس لمجمع العقيدة والإيمان، حافظ الكاردينال راتزنجر من نظرة الكنيسة الكاثوليكية الصارمة حيال، المثلية الجنسية وتحديد النسل وشدد على أهمية الحوار بين الأديان، والابتعاد عن اللامبالاة الدينية، ولقب بالمدافع الشديد عن المذهب الكاثوليكي. وأشار اليه الكثيرون على أنه «موزارت اللاهوت». وقد أفتتح بندكتس السادس عشر تحولًا تاريخيًا متمركزًا حول المسيح. من خلال إحياء العبقرية الآبائية، منح المسيحية الشرعية الفكرية والقوة اللازمة لدفعها إلى القرن الحادي والعشرين.

ساهم بشكل خاص في المجمع الفاتيكاني الثاني لإصدار وثيقة في عصرنا التي تدعو إلى الاحترام المتبادل والحوار مع جميع الديانات خصوصًا اليهودية والإسلامية، ويعتبر البابا منذ ذلك الحين منافحًا قويًا عن حق الحرية الدينية، وخلال عمله اللاحق كرئيس لمجمع العقيدة والإيمان ساهم في صياغة الإرشاد الرسولي Dominus Iesus الذي صدر العام 2000 خلال حبرية البابا يوحنا بولس الثاني والذي شرح من خلالها الإيمان الكاثوليكي ونقاط التقارب مع مختلف العقائد والأديان في العالم، كأساس للحوار.

قد قام بسبعة عشر زيارة خارجية معظمها الى الدول الأوربية والغربية، ومع ذلك زار تركيا الدولة ذات الغالبية المسلمة في 30 نوفمبر 2006، ولكونها قد جاءت بعد خطابه والجدل الذي أثير حوله في جامعة ريجنسبورغ فقد احتج المتشددون الإسلاميون على الزيارة التي وضعت ضمن إجراءات أمنية غير مسبوقة، غير أن البابا عبر خلالها عن إعجابه بتركيا، ودعمه ملف ترشحها إلى الاتحاد الأوروبي، الذي كان في السابق يعارضه؛ كذلك فقد أثمرت رحلة البابا إلى تركيا بإصدار بيان مشترك مع بطريرك بطريركية القسطنطينية المسكونية برثلماوس الأول في محاولة لرأب الصدع بين الكنيسة الكاثوليكية وكنيسة القسطنطينية الأرثوذكسية. وقال البابا أيضًا خلال البيان المشترك الذي أصدره وبرثلماوس الأول بطريرك القسطنطينية المسكوني أن انضمام تركيا للاتحاد الأوروبي يجب أن يكون مرهونًا بدعم الحرية الدينية وصيانة الأقليات المسيحية فيها.

قام البابا خلال زيارته تركيا بزيارة مسجد السلطان أحمد، ليكون بذلك ثاني حبر أعظم يزور موقعا إسلاميا بعد يوحنا بولس الثاني الذي زار الجامع الأموي في دمشق عام 2001؛ وزار أيضًا مسجد الملك الحسين خلال زيارته الأردن في 9 آيار-مايو 2009، كذلك فقد التقى ملك السعودية عبد الله بن عبد العزيز ليكون بذلك أول لقاء بين ملك سعودي ورأس الكنيسة الكاثوليكية وأول زيارة من قبل ملك سعودي للفاتيكان. بناءً عليه تعتبر العلاقات بين الكرسي الرسولي والمسلمين عمومًا جيدة خلال حبريته، باستثناء مضاعفات محاضرة البابا في ألمانيا يوم 12 ايلول-سبتمبر 2006 حين تطرق لموضوع «آيات القتال» في القرآن واستشهد بنص تاريخي لحوار بين الإمبراطور البيزنطي وأحد المفكريين الفارسيين حول دور النبي محمد، يقول فيه الإمبراطور أنّ النبي «أمر نشر الدين بالسيف». محاضرة البابا لم تكن للحديث عن المسلمين بشكل مخصوص، بل هو ناقش أيضًا الوضع في الديانة اليهودية والمسيحية، ليصل إلى نتيجة مفادها أن الأديان عمومًا والمسيحية على وجه الخصوص، مرتكزًا على تعاليم يسوع ترفض أي قوّة في نشر الدين.

مع ذلك اندلعت مجموعة من المظاهرات في عددٍ من الدول ذات الغالبية الإسلامية وطالبت البابا بالاعتذار والبعض طالب بقتله وتعرّض للمسيحية بالإساءة؛ وقد اعتبر عدد من المحللين أن الحدث قد تمّ تضخيمه واستغلاله، وأنه كان الأجدرأن يقوم شيخ الأزهر أو رئيس رابطة العالم الإسلامي بإرسال رسالة للبابا تشرح الموقف، فيظلّ السجال بين مثقفين وأكاديميين. في 25 ايلول 2006 التقى البابا سبعة عشر سفيرًا من سفراء الدول الإسلامية المعتمدين لدى الفاتيكان وألقى خطابًا أبدى به أسفه من تداعيات الموقف، وأكّد على الجوانب المشتركة بين المسيحية والإسلام، وشكّل ذلك بداية أفول المظاهرات الاحتجاجية، التي طبعت بداية حبريته.

- John L Allen, Pope Benedict XVI: a biography of Joseph Ratzinger (Continuum, 2005)

-Clifford W. Mills, Pope Benedict XVI (Modern World Leaders), (Chelsea House Publishers, 2007)

-Emery de Gaál, The Theology of Pope Benedict XVI: The Christocentric Shift, (Palgrave Macmillan, 2010)

قدّم البابا بندكت السادس عشر باستقالته في 11 شباط-فبراير 2013 بدافع التقدم بالسن، بعد حبرية دامت قرابة ثمانية أعوام. وقد اختار أن تدخل استقالته حيّز التنفيذ بدءًا من 28 شباط -فبراير 2013 ومع سريان استقالة البابا حيّز التنفيذ، انعقدت الجمعية العامة لمجمع الكرادلة في 4 مارس، وحددت يوم 12 آذار-مارس موعد بدء المجمع، وتوصل الكرادلة الناخبون لتأمين أغلبية الثلثين للكاردينال بورجوليو، فغدا بذلك الحبر المنتخب، وتصاعد الدخان الأبيض من كنيسة سيستين، بموجب الأعراف الكنسيّة مؤذنًا بالخبر، وكان اسم الكاردينال الأرجنتيني من بين الأسماء المطروحة كمرشح رئيسي في الصحافة ووسائل الإعلام.

كان أول بابا يتسمى باسم فرَنْسِيس. التسمية جاءت تأسيًا بالقديس فرَنْسِيس الأسيزي، الذي «لعب دورًا هامًا في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية»، و كان من أتباع التيار الإصلاحي في الكنيسة، وقد ترك حياة الترف واختار حياة الزهد تاركًا عائلته وأصدقاءه. ويُذكر القديس فرَنْسِيس كشخص سلام وبساطة وخدمة للفقراء، كان القديس فرَنْسِيس نجل تاجر ثري، في أحد الأيام، سمع ما يعتقد أنه صوت الله يأمره بخدمة الفقراء، تخلى عن ماله وممتلكاته، ثم غادر منزله ليعيش مع الفقراء، اجتذب القديس فرَنْسِيس العديد من الأتباع، لقد بشر وكتب عن رعاية الحيوانات والبشر والأرض، في سن 76، أصبح بورجوليو البابا رقم 266 في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية، وهو أول بابا يعتزم زيارة العراق على الرغم من إلغاء زيارته الأولى.

بُعَيد انتخابه قال البابا إنّه اختار اسم القديس فرَنْسِيس الأسيزي المدافع عن الفقراء، وقال إنه يريد: «كنيسة فقيرة، وتدافع عن الفقراء»، وأشار أيضًا إلى أنّ القديس فرَنْسِيس كان يدافع عن السلام في عالم تتقاذفه الحروب» ويدافع عن الطبيعة في عالم يتجه نحو التلوث. إنه أول بابا أخضر في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية.

بين لاهوت التحرير ولاهوت الشعب

بروح تحمل اسم، القديس فرَنْسِيس الأسيزي، اكتسب البابا الجديد (بورجوليو) سمعة عالمية، فهو صوت الفقراء والمدافع عن البيئة، فقد تصدّر الأخبار مؤخرًا بخطبه ووصاياه التي ينتقد فيها مصنعي الأسلحة، ودعواته لإطلاق براءات اختراع للقاحات، والحث على إنهاء الحصار والعقوبات ضد جميع البلدان، ومواجهة سلبيات النيوليبرالية والاستعمار الجديد والعولمة الرأسمالية. ففي الوقت الذي يعاني الفقراء مزيداً من الفقر والمرض خلال جائحة COVID-19 يحاول الملياردرات الذهاب إلى الفضاء بشكل أخرق.

البابا الذي جاء من مسقط رأس لاهوت التحرر الكاثوليكي يتحدث بصوت الفقراء، ويوجه الاتهام إلى الأغنياء، ويراهن على الحركات الشعبية، قد يترك انطباعا بإن لدينا أخيرًا عالم لاهوت تحرير على كرسي القديس بطرس.

كان لاهوت التحرير في أمريكا اللاتينية، في النصف الأخير من القرن العشرين، ردّ فعلٍ على التحولات السياسية واللاهوتية العميقة في المنطقة، وقد وجد الماركسي البرازيلي مايكل لوي أصول لاهوت التحرير في ثوتين: الإطاحة بالديكتاتور فولجنسيو باتيستا عام 1959 في الثورة الكوبية، والمجمع الفاتيكاني الثاني الذي أعلنه البابا يوحنا الثالث والعشرون في العام نفسه، دوراً جديداً لـ «الشعب» في التاريخ.

اتخذ المجمع الفاتيكاني الثاني (الإطار رقم 3) أهمية فريدة في أمريكا اللاتينية حيث حاول الأساقفة تطبيق إصلاحات المجلس والدعوة إلى كنيسة أكثر انخراطًا في سياق محفوف بالفقر والركود والعنف. في عام 1968، اجتمع مؤتمر أساقفة أمريكا اللاتينية (CELAM) في ميديلين، كولومبيا، وأقر رسميًا بناء كنيسة شعبية قائمة على تفضيل الفقراء. في السنوات التالية، خطى ما أصبح يعرف باسم لاهوت التحرير خطوات جريئة حيث ساعد على تنظيم النقابات وجمعيات الفلاحين وحتى الثورات، كما هو الحال في نيكاراغوا، حيث حصل أربعة قساوسة على مناصب بارزة في الحكومة الاشتراكية بقيادة الساندينيين. تعرض العديد من المرتبطين بالحركة للمضايقة أو القتل. عندما كان يسوعيًا شابًا، رأى فرَنْسِيس رهبانيته أيضًا تتصارع مع لاهوت التحرير، وتنتج بعضًا من أقوى أصواتها، بما في ذلك الشهداء.

الإطار رقم 3: المجمع الفاتيكاني الثاني (1962-1965)

استقبل العديد من المراقبين المجمع الفاتيكاني الثاني (1962-1965) بوصفه أهم حدث ديني في القرن العشرين. لا يزال تطبيقه وتأثيره محسوسًا في الكنيسة الكاثوليكية، والعالم المسيحي الأوسع، وما وراءه. لا سيما فيما يتعلق بالمواقف الكاثوليكية الرومانية تجاه اليهودية والإسلام والأديان الأخرى.

ويمكن القول إنه من دون ميراث المجمع الفاتيكاني الثاني والوثائق الصادرة عنه، ما كان للبابا فرَنْسِيس، ولا لمَن قبله من باباوات روما في النصف الثاني من القرن العشرين، الاشتباك الإيجابي والخلاق مع قضايا معاصرة تخص العالم غير الكاثوليكي، لا سيما قضايا العالم الثالث وقضايا العالم العربي والإسلامي، لا سيما البابا يوحنا بولس الثاني، الذي لعب دورًا بالغ الأهمية في دعم القضية الفلسطينية، عطفًا على زيارته لعدد من الدول الإسلامية مثل مصر والمغرب، ودول أفريقية ذات أغلبية إسلامية.

والمجمع يعد بحسب الكنيسة الكاثوليكية المجمع المسكوني الحادي والعشرون. انعقد بدعوة من البابا يوحنا الثالث والعشرين بين عامي 1962 و1965، وصدر عنه جملة من المقررات والمراسيم والدساتير، مكملاً ما عجز المجمع الفاتيكاني الأول عن إنجازه بسبب سقوط روما بيد الثوار عام 1870 مما أدى لوقف أعماله آنذاك. تمخض عن المجمع إصلاحات مختلفة في جسم الكنيسة كان أبرزها التخلي عن استعمال اللاتينية في الصلاة وإبدالها باللغات المحلية، والإقرار بالحركة المسكونية وغيرها.

الإعلان عن هذا المجمع جاء على لسان البابا يوحنا الثالث والعشرين خلال خطبة ألقاها بتاريخ 25 يناير/كانون الثاني 1959 بعد تسعين يوماً من انتخابه للسدة البابوية، فقد صرح عن نيته دعوة أساقفة الكاثوليك في العالم أجمع للحضور إلى الفاتيكان لعقد مجمع مسكوني جديد. وبعكس المجامع السابقة لم تكن غاية المجمع الفاتيكاني الثاني تفنيد بدعة ما أو البت في مسألة تأديبية معينة، ولكن بحسب كلمة البابا الافتتاحية فقد كان الهدف من هذا المجمع «إزالة تجاعيد الهَرَم (الشيخوخة) من وجه الكنيسة، وإعادة بهائها وشبابها إليها»، فكانت أهدافه المعلنة تجديد الكنيسة الكاثوليكية روحياً وتحديد موقفها من قضايا العالم المعاصر المختلفة

وضع المجمع العلاقة مع العالم الاسلامي في موضع جديد كليا، إذ خَطَى خطوةً ثورية في تاريخ المجامع المسكونية، ولعل أهم ما يميزه أنه لم يهدد ولم يطرد، كما لم يحرم أو يتطرق إلى إعلان عقائد إيمانية جديدة كالمجامع السابقة، بل امتاز عنها كثيرًا، لكونه حمَل الكنسية على إلقاء نظرة إلى ذاتها من الداخل، ليتسنّى لها أن تبعث في جنباتها حيوية تتجاوب مع مقتضيات العصر، فتقوى حينذاك على بعث حيويتها إلى الخارج.

صدر عن هذا المجمع أول وثيقة مسيحية معاصرة، بلورت رؤية المسيحية للمسلمين حول العالم، وقد جاءت تحت عنوان «في حاضرات أيامنا»، وجاء صدورها تلبية لرغبة البابا الداعي للمجمع، وعبّر عنها الكاردينال «بيا»، ألماني الأصل، وهدف البابا من هذا التصريح أن يستأصل كل جذور الكراهية والحقد، التي طالما تسببت في الصراعات، وبخاصة حين اتخذت النصوص الدينية تاريخيا ذريعة لذلك.

-Gerald O’Collins SJ,The Second Vatican Council on Other Religions (Oxford University Press, 2013)

لكن على الرغم من أهميتها في النضال من أجل العدالة، كانت العلاقة الرسمية بين الفاتيكان وعلم اللاهوت التحريري متوترة، إذ خضع العديد من مؤيدي لاهوت التحرر في كثير من الأحيان للتدقيق والانضباط الشديد من قبل الكوريا (البيروقراطية البابوية أو الجهاز الإداري المسؤول عن إدارة الكنيسة الكاثوليكية باسم وسلطة البابا). قاد الكاردينال جوزيف راتزينغر، الاتهام ضد لاهوت التحرير بصفته رئيس مجمع عقيدة الإيمان (CDF)، وعندما أصبح البابا بندكت السادس عشر في عام 2005، بدا لاهوت التحرير مهزومًا، لكن حين ورث فرانسيس هذا الصراع الطويل، سارع المعلقون إلى استنتاج انتصار لاهوت التحرير ورؤية فرانسيس نفسه على أنه منطلقة من لاهوت التحرير.[3] في الواقع لم يكن فرانسيس جزءًا من المد المتصاعد للاهوت التحرير. كشخص ولد في عام 1936 وكان جزءًا من نظام ديني أصبح معروفًا بالعدالة الاجتماعية، فإن ضميره الاجتماعي مستوحى بشكل أكبر من «لاهوت الشعب» Theology of the People، وهي حركة توازي لاهوت التحرير وأعطت الأولوية للفقراء، لكنها فريدة من نوعها بالنسبة للأرجنتين، حيث تعتمد بدرجة أقل على التحليل الاجتماعي والأدب الماركسي. باختصار، كان من الممكن أن يكون فرانسيس لاهوتي التحرير، لكنه اختار ألا يكون.

مع ذلك وضع فرانسيس الفاتيكان على مسار مختلف فيما يتعلق بلاهوت التحرير في واحدة من أكثر التحولات الرمزية، فالرسالة العامة لفرانسيس Laudato Si تطالب بأن نسمع «صرخة الأرض وصراخ الفقراء». وباستخدام هذه العبارة، التي أشاعها عالم اللاهوت البرازيلي ليوناردو بوف في كتاب عام 1995، قام فرانسيس بمنح منصة لصوت أسكته الفاتيكان رسميًا في عام 1985.[4]

3- يفسرهذا الرابط بين فرنسيس ولاهوت التحرير موقف المحافظين منه، فعلى الرغم من شعبية البابا فرانسيس، إلا أن بعض الكاثوليك المحافظين يعتقدون أنه يتبنى العديد من سياسات وخطابات اليسار المتشدد، ربما كنتيجة لتعليمه في الأرجنتين الاشتراكية. كما إنهم يعتقدون بأنه على مدى عقود عديدة، عمل اليسار على تقويض الكنيسة الكاثوليكية (والتي تعد أقوى مؤسسة محافظة في العالم). ويذكرون أنه في القرن العشرين، نشر الشيوعيون واليساريون لاهوت التحرير والحداثة في جميع أنحاء الكنيسة، والآن - عبر البابا فرانسيس- نجح اليسار الراديكالي-برأيهم- على أعلى مستوى في الكنيسة، ضمن سياسة لتجنيد الفاتيكان في نظامه العالمي العالمي، بالطبع، فإن اليمين المحافظ سوف يسعى دائما لوقف أي مسعى إصلاحي للكنيسة مرتبط برأيهم مع سياسات اليسار أو التحديث. للمزيد ينظر:

George Neumayr, the political Pope: how Pope Francis is delighting the liberal left and abandoning conservatives, (Center Street, 2017)

4 ينظر مناقشات موسعة حول هذا الموضوع فيما يأتي:

-Ole Jakob Løland, The Solved Conflict: Pope Francis and Liberation Theology, (International Journal of Latin American Religions, vol 5,2021), pp.287–314

-Dean Dettloff, Is Pope Francis a Liberation Theologian? Sojourners, Oct 26, 2021 https://sojo.net/articles/pope-francis-liberation-theologian

الفلسفة اليسوعية بين بوينس آيريس وبغداد

هذه السيرة الموجزة توضح خلفية البابا وتشرح سياسته وتوجهاته، وربما تفسر ايضا إصراره على زيارة العراق على الرغم من التهديدات الأمنية والصواريخ والتشويهات المتعمدة لصورة العراق، وهو إصرار جدير بالتقدير.

وسبب إصراره، على ما اعتقد، يعود الى عيشه ظروفا شبيهة بما يحدث في بلادنا، وعندما اكتسب السلطة وأصبح الزعيم المحلي الأعلى للكنيسة الكاثوليكية (كرئيس لأساقفة في بوينس أيرس) عاش حياة بسيطة تتوافق مع فلسفته اليسوعية، على الرغم من قدرته على العيش في منازل كبيرة، إلاّ إنه عاش في شقة صغيرة، وسافر عبر بوينس آيرس في الحافلات ومترو الأنفاق، وكان يخرج ليلا ليجلس مع المشردين في الشارع، ويشاركهم الطعام، وفي خطبه أكدّ على أهمية مساعدة الفقراء، وتحدث عن العمل مع الناس من جميع الأديان.

وفي عام 2001، وعندما أصبح كاردينالاً في الأرجنتين في أثناء الأزمة الاقتصادية، قال لأعضاء الكنيسة ألا يحضروا القداس الخاص في مدينة الفاتيكان حيث سيكون كاردينالاً، وأن يطلبوا من الناس إعطاء المال الذي كانوا سينفقونه في السفر للفقراء.

اعتقد أن البابا فرَنْسِيس يمثل منعطفا في تاريخ البابوية الحديث، على الرغم من أنّ البابوية هي مؤسسة تُظهر استمرارية ملحوظة بين أصحاب المناصب المتعاقبين، فَهُم نادراً ما ينبذون تعاليم أو مساهمات أسلافهم. في الوقت نفسه، يشهد التاريخ الحديث ابتكارات لا يمكن إنكارها وضعها الأحبار المتعاقبون، فكل بابا يضع "نسخته" المميزة الخاصة به على المكتب وكيفية تنفيذها، حتى مع بقاء النقاط الرئيسة في العقيدة الكاثوليكية والمواقف الأساسية للكنيسة الكاثوليكية ثابتة في مكانها على المدى الطويل، على سبيل المثال، فإن خلفية القديس يوحنا بولس الثاني فيلسوفاً وزعيمَ كنيسةٍ في بولندا التي يسيطر عليها الشيوعيون وبندكت السادس عشر عالمَ لاهوتٍ أكاديمي ووصياً رسمياً على العقيدة الكاثوليكية قد أثرت بالتأكيد على تعاليمهم وأفعالهم طوال حياتهم، وقد ترك كل منهم إرثًا مميزًا يعكس تاريخه الشخصي واهتماماته الخاصة، ولا شك في أنّ فلسفة البابا فرَنْسِيس تكمن في تواضعه وبساطته، وزيارته للعراق، مهد الأديان السماوية ستظل نقطة مضيئة في إرثه الباقي.

التعريف بالمؤلف:

د. سعد سلوم، أستاذ العلاقات الدولية في كلية العلوم السياسية في الجامعة المستنصرية، من مؤسسي مبادرة الحوار المسيحي الإسلامي 2010، المجلس العراقي لحوار الإديان 2013، والمركز الوطني لمواجهة خطابات الكراهية 2018، ومعهد دراسات التنوع الديني 2019، ومعهد صحافة التنوع في العراق 2020. ويترأس مؤسسة مسارات للتنمية الثقافية والإعلامية.

له 21 مؤلفا من أبرزها: الإبادة الجماعية في الشرق الأوسط: من نكبة فلسطين الى تدمير العراق2024, فرنسيس في أور: الجغرافية السياسية الجديدة للزيارات البابوية 2023، ديناميات الهوية: نهاية وإنبعاث التنوع في الشرق الأوسط (2023). وله دراسات اخرى منشورة باللغات الانكليزية والفرنسية والايطالية.

حاز على جوائز دولية من أبرزها: جائزة ستيفانوس الدولية في / أوسلو 2018، وجائزة ابن رشد للفكر الحر-برلين 2022 وجائزة مؤسسة zed الالمانية للتضامن الانساني والتي تسلمها في متحف الدولة في فرانكفورت بتاريخ ٣ اب ٢٠٢٣. كما حاز على جوائز أخرى من أبرزها: جائزة البطريركية الكلدانية عن كتابه (المسيحيون في العراق: التاريخ الشامل والتحديات الراهنة)، وجائزة كامل شياع لثقافة التنوير عن مجمل أعماله الفكرية.

نشر له مركز البيان مجموعة دراسات من أبرزها: الإبادة الجماعية مستمرة 2022. السياسة الخارجية العراقية ومجتمعات الدياسبورا 2024، أجراس الزوال (مذبحة كنيسة سيدة النجاة في ذكراها الرابعة عشرة) 2024.

لِدولةٍ فاعلةٍ ومجتمعٍ مُشارِك

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org